Sirte University Journal of Humanities **(SUJH)** مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/Humanities/index

أسرة بني زُهر ودورها الطبي في الأندلس (من القرن 5هـ _ 11م/ 7هـ _ 13م)

أ.تجديده بوعذبة محمود امعيقل
taj.ameiqil@sebhau.edu.ly
قسم التاريخ/ بكلية الآداب/ جامعة سبها

الملخّص

للأسر العلمية أهمية كبيرة في الحضارة الإسلامية، وقد حظيت الأندلس بعدد من الأسر التي كان لها دور في إثراء الحياة العلمية عبر العصور الإسلامية المختلفة هناك، ومن هذه الأسر أسرة بني زُهر، التي نبغ عدد من أفرادها في الطب، ونالوا شهرة واسعة وذاع صيتهم من خلال إنجازاتهم في حقل الطب.

فتاريخ هذه الأسرة حافل بشخصيات خلدت أسمائها في مجال الطب ليس في الأندلس فحسب بل وصل صداها إلى أقصي المشرق، واستطاعت أن تترك أثرًا وإرثًا من خلال توارث أبنائها لعلم الطب على مدى ثلاث قرون، حيث أنجبت أطباء تركوا بصمتهم في مجال الطب، وكانت مؤلفاتهم مرجعًا لطلاب العلم، ودليلًا على مهارتهم في هذه الصناعة، ومن خلال هذه الدراسة نسلط الضوء على إنجازات هذه الأسرة، ونتعرف على أبرز أفرادها، وكيف تبوأوا مكانة متقدمة في صفوف علماء عصرهم.

الكلمات المفتاحية:
أسرة أندلسية، بني زهُر، علم الطب.

The Bani Zuher family and it’s medical role in Andalusia

Tajdeda Ameigil

Faculty of Arts, Sebha University, Libya

Abstract

There is great importance for scientific families in the Islamic civilization. Andalusia has many families who has played a crucial role to enrich the scientific life during the different Islamic era there.

One of these families is the family of Bano Zohr who’s several its members has specialized in medicine and gained wide fame and they became famous in the field of medicine through their achievements.

The history of this family is full of personalities whose name was immortalized in the field of medicine, not only in Andalusia, but its resonance reached the far east, thus, they were able to leave a trail and legacy through the revolutions of their sons to the science of medicine over three centuries. That the family had raised doctors who left an imprint in the field of medicine. Their books were a reference for students of science and evidence of their skills in this industry. Through this study, we would like to shed light on the achievements of this family and get to know its most famous members, and how they could take the priority among the scientists of their era .

Keywords

Bany Zuhr,
Andalusian family,
Medicine,

المقدمة

شهدت بلاد الأندلس خلال عصورها المختلفة ظهور أسر عديدة كان لها تأثير واضح في الدفع بعجلة الحياة العلمية في مختلف مجالاتها، وقد نجحت كثير من هذه الأسر في ترك بصمة واضحة في الحياة العلمية من خلال أبنائها الذين توارثوا العلم جيلًا بعد جيل، وأسهموا في النهضة العلمية التي اجتاحت الأندلس، ومن هذه الأسر التي لمع نجمها وكان لأبنائها مساهمة كبيرة في إثراء الحياة العلمية في بلاد الأندلس على سبيل المثال لا الحصر:

_ أسرة بني مغيث: ومن علماء هذه الأسرة مغيث بن عبد الله بن مغيث، يُكني بأبي مروان، من أهل قرطبة ونبهائها، توفي سنة (367هـ_977م)، (ابن بشكوال، 2008م)، مغيث بن يونس بن محمد، يُكني بأبي يونس، روى عن أبيه وتوفي سنة

(552هـ_1157م)، (ابن بشكوال، 2008م) عبد الله بن مغيث بن يونس بن محمد، من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، روي عن أبيه وجده، وتوفي بقرطبة سنة (576هـ_1180م). (الغرناطي، 2008م)

_ أسرة آل عياض: ومنهم القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو واللغة، ولد سنة (476هـ_ 1083م)امتهن التدريس والتعليم وعُين في القضاء، واشتهر بعلمه وعبادته وتوفي سنة (544هـ_ 1049م)، (ابن بشكوال، 2008م) ومن أبناء هذه الأسرة نذكر أبا عبدالله محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، من الفقهاء، تولى قضاء غرناطة، توفي سنة (575هـ_1179م) (الغرناطي، 2008) ومن أبناء هذه الأسرة عياض بن محمد بن عياض بن موسي اليحصبي وهو حفيد القاضي أبي الفضل، يُكني بأبي الفضل، روى عن أبيه القاضي أبي عبدالله، كان فاضل الأخلاق كثير التواضع، من المهتمين بالعلوم العقلية، وكان ممن لديهم مكانة لدى الملوك، دخل الأندلس أيام قضاء أبيه بغرناطة، وتنقل بمدنها قرطبة وإشبيلية واستقر بمالقة، وتوفي سنة (630هـ_1232م).(الغرناطي، 2008م)

_ أسرة بني رشد: ومن علمائها القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (520هـ_1126م)، كان فقيهًا عالما، حافظًا للفقه، مقدمًا على جميع علماء عصره، (ابن بشكوال، 2008م) وابنه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن رشد يكني بأبي القاسم روى عن أبيه أبي الوليد وولي القضاء وتوفي سنة (622هـ_ 1225م) (ابن الأبار، 1995م) ومن أبناء هذه الأسرة أيضًا أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد عُني بالفقه وكان مهتمًا بتحصيل العلوم متميزًا في علم الطب، وله في الطب كتاب الكليات، توفي سنة (595هـ_1189م). (المراكشي، 2012م)

_ أسرة الزهري: ومنهم محمد بن مهلب الزهري من أهل إشبيلية، يكني بأبي عبد الله أخذ القراءات عن أبي عمرو المقرئ (ابن الأبار، 1995م) وأبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري: قاضي إشبيلية اشتغل بالأدب وتميز في العلم وكان أحد الفضلاء في الطب واشتغل بالطب لدى أبي مروان عبد الملك بن زُهر، وخدم بالطب للسيد أبي علي عبد المؤمن صاحب إشبيلية، وكان يطبب الناس دون أجرة. (ابن أبي أصبيعة، 1996م)

_أسرة الباجي: أبوبكر محمد بن يحي بن الصائغ ويعرف بابن باجة، من الأندلس، كان متميزًا في العربية والأدب حافظًا لكتاب الله، ويعد من الأفاضل في صناعة الطب، من أشهر علماء زمانه وكانت الرحلة إليه في وقته، (ابن أبي أصبيعة، 1996م) والمحدث أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي اللخمي الباجي، توفي سنة (396هـ_1005م) (ابن الأبار، 1995م)

وفيما يخص موضوع دراستنا فقد تناولنا في هذه الدراسة أسرة بنو زُهر التي نبغ أبنائها في صناعة الطب، وكانوا من أعظم أطباء عصرهم ومن هنا أردنا تسليط الضوء على هذه الأسرة الأندلسية وتتبع مسيرتهم.

أسهم أطباء أسرة بني زُهر في النهوض بعلم الطب في الأندلس، فقد ضمت هذه الأسرة عبر أجيالها كبار الأطباء والجراحين الذين مارسوا الطب وأسهموا في ابتكار الأدوية، وتشخيص كثير من الأمراض، حتى صار أبناء هذه الأسرة من أبرز العلماء والأطباء في الأندلس، ومن هنا رأينا أهمية الدور الذي قامت به هذه الأسرة، وكان علينا تتبع مسيرتها العلمية والوقوف على أبرز ما قدمته من إنجازات في مجال الطب.

يقوم هذا البحث على ثلاثة محاور أساسية: المحور الأول ركزنا فيه على أصول هذه الأسرة ونشأة علمائها، والمحور الثاني يتتبع إسهامات أسرة بني زُهر في مجال الطب، أما المحور الثالث فيتناول أبرز مؤلفاتهم الطبية.

أهمية الدراسة: _

تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول مساهمة الأسر العلمية في الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس، وتبرز دور علمائها ومعرفة مدى إسهامهم في إثراء الحياة العلمية من خلال دراسة أسرة بني زُهر ودورهم في النهوض بعلم الطب.

أهداف الدراسة: _

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أسرة بني زُهر ومدى شغفهم بالطب، وكيف وصلوا من خلال نجاحهم إلى أن يصنفوا من كبار الأطباء في الأندلس، وما هي أبرز إنجازاتهم في حقل الطب، وكيف ارتقوا به حتى صاروا من أشهر أطباء عصرهم، وتجاوزت شهرتهم بلاد الأندلس إلى أوروبا.

إشكالية الدراسة: _

استطاع أفراد هذه الأسرة أن يكونوا من نوابغ العلماء وتكون لهم مساهمة في إثراء الحياة العلمية، وهنا تكمن إشكالية البحث وهي معرفة حجم المساهمة التي قدمتها هذه الأسرة عبر أجيالها لعلم الطب، والوقوف على أبرز إنجازاتهم، وما هو الإرث الذي خلفه بنو زهر حتى جعلهم في مقدمة علماء عصرهم.

مجال الدراسة: _

- المجال الزمني: (من القرن 5هـ _ 11م / 7هـ _ 13م).
- المجال الجغرافي: ينحصر المجال الجغرافي في بلاد الأندلس.

أولًا: أصولهم ونشأتهم

تعد عائلة بني زُهر الأندلسية من بيوت الأندلس الشهيرة بتوارث العلم والأدب، كما تقلَّد بعض أفرادها مناصب كبيرة في الإدارة، والوزارة لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، تبوأ خلالها أفراد هذه الأسرة مكانة علمية فريدة، وكانت لهم إسهامات وإنجازات في حقل الطب.

وبالحديث عن أصولهم ونشأتهم فإن هذه الأسرة أسرةٌ عظيمة بالأندلس، كُني أفرادها جميعًا بابن زُهر، فالجدُّ الأعلى لها هو محمد بن مروان بن زهر الفقيه، (الذهبي، 1996م، ج17) الذي "اشتهر بالتقوى والفصاحة، كما كان عالمًا بالرأي حافظًا للأدب، فقيهًا حاذقًا بالفتوى، مقدمًا في الشورى، جمع الراية والدراية"، (ابن خلكان، د.ت، ج4)، وكان شيخًا فاضلًا عالمًا بالمسائل والآثار، متفننًا في العلوم، وكان أول من رفع من شأن هذه العائلة، وكان مقيمًا بدانية، وتوفي بطلبيرة سنة(422هـ_1031م)وهو ابن ست وثمانين سنة، (ابن بشكوال، 2008م، ج2) ويرفع النسب إلى "زُهر" بن إياد بن معد بن عدنان.

وتوالي ذكر أفراد هذه العائلة عبر أجيالها، فكان أولهم ابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن زهر (ابن الأبار، 1995م، ج3) الذي اشتهر بالطب، وشدَّ رحاله إلى المشرق، وتولى رئاسة الطب ببغداد، ثم مصر، فالقيروان، وتطبب بها زمنًا طويلاً، وأخيرًا عاد إلى الأندلس، وحط رحاله بمدينة دانية، (ابن صاعد الأندلسي، 1912م) وبلغ ذكره أقطار المغرب والأندلس، واشتهر بالتقدم في علم الطب بين مختلف علماء زمانه، وانتقل إلى إشبيلية، وتوفي بها سنة (470_1077م) (ابن أبي اصبيعة، 1996م).

خلفه ابنه أبو العلاء زُهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان زُهر الإيادي الإشبيلي، (ابن ابي اصبيعة، 1996م) طبيب الأندلس، وصاحب التصانيف، أخذ عن أبيه وحدث عنه في الطب ابنه مروان (ابن الأبار، 1995م، ج1).

كان مشهورًا بالعلم والمعرفة، وله علامات تدل على قوته في صناعة الطب، كان في دولة الملثمين (المرابطين)، وحظي في أيامهم بمنزلة رفيعة وذكر جميل، وقد اشتغل في صغره بصناعة الطب في أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن عباد، كما اشتغل بعلم الأدب، (ابن ابي أصبيعة، 1996م) "وقد تدفق عليه طلاب العلم من كل مكان، كما كان مقربًا من الأمير يوسف بن تاشفين، توفي بقرطبة، وسبب وفاته نغلة بين كتفيه سنة (525هـ-1130م) ونقل لإشبيلية ودفن بها"(ابن عذاري، 2013م، ج2).

ثم خلفه ابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن زُهر الإيادي الأشبيلي، (الغرناطي، 2008م) الذي ورث بدوره الاهتمام بعلم الطب، وواصل أبو مروان مسيرة أسرته في هذه الصناعة، وهو طبيب من إشبيلية لم يكن في عصره من يماثله في صناعته، ويعتبر أول من خصص كل وقته في الطب، (ابن بسام الشنتريني،1997م، ج2) خدم الملثمين وفي عهد الموحدين، حظي لدى المهدي بمكانة كبيرة؛ وذلك لأنَّ المهدي قرَّب إليه أهل العلم، وأكرمهم، فكان أبا مروان من أطباؤه المقربين. (المراكشي، 1012م، ج3)

وقد أثر ابن زهر هذا أثرًا كبيرًا في الطب الأوروبي؛ وذلك بفضل كتبه التي ترجمت للعبرية واللاتينية، (المنوني، 1989م) وهذا ليس إلا دليلًا على نبوغه في هذا المجال، وتوفي أبو مروان عبد الملك سنة (557هـ _ 1161م) ودفن بإشبيلية (ابن الأبار، 1995م، ج3).

ثم يأتي محمد بن عبدالملك بن زُهر، أبوبكر الحفيد، ولد بإشبيلية، (ابن الأبار، 1995م، ج2) كسابقيه من أفراد أسرته، كان له بصمته في مجال الطب، وأخذ عن أبيه أبي مروان، وعن جده أبي العلاء علم الطب، بل وكان أيضاً من نوابغ الأدب في الأندلس، وكان عين ذلك البيت، وإن كانوا كلهم أعيانًا، وقد نالوا المراتب العلية، وتقدموا عند الملوك، وخدم دولتي الملثمين والموحدين، (المراكشي، 2012م،ج4) وعُرف بالحفيد ابن زُهر، كما كان له شعرَ في الموشحات، وانفرد في عصره بإجادة نظمها، وكانت ولادته سنة سبع وخمسمائة، ومات مسمومًا في مدينة مراكش، ودفن بروضة الأمراء عام (595هـ- 1198م) (الذهبي، 1996م،ج17).

خلفه أبو محمد بن الحفيد بن زُهر، وهو: أبو عبدالله بن الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان عبدالملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر، "ولد بمدينة إشبيلية سنة سبعمائة وخمس وخمسين، كان جيد الفطرة، حسن الرأي، مفرط الذكاء، محبًا للبس الفاخر، وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها"(ابن ابي اصبيعة، 1996م)، وخدم بالطب لدى الخليفة الموحدي يعقوب المنصوري، وقُتل بالسُم مثل أبيه سنة (602هـ - 1205م)في مدينة سلا، حيث كان متوجهًا لمراكش لكن الموت كان أقرب إليه، وحمل إلى

إشبيلية، ودفن بمقابر آبائه خارج باب الفتح، وكانت مدة حياته خمسًا وعشرين سنة(ابن ابي اصبيعة، 1996م)

ثانيًا: سيرتهم وإسهاماتهم في مجال الطب

تركت أسرة بني زُهر إرثًا علميًا عظيمًا عكس لنا مدى عبقرية كل فرد من أفراد هذه الأسرة، وكيف أثرت نشأة هؤلاء في هذه الأسرة العلمية على صقل موهبتهم، وكان لها أبعد الأثر في بلورة معرفتهم الطبية، فقد امتد نشاط هذه الأسرة عبر خمسة أجيال استطاع كل فرد منهم أن يبرز في زمنه، وأن تكون الرحلة إليه في وقته، ونستعرض هنا سيرتهم والمساهمات العلمية لهذه الأسرة الأندلسية.

في مقدمة أفراد هذه الأسرة يأتي أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر الذي جال في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية فقد رحل إلى المشرق لتلقي العلوم، فبرع في صناعة الطب، ونظرًا لبراعته وشهرته في هذا الحقل تولى رئاسة الطب ببغداد، ثم بمصر، ثم القيروان، وأخيرًا عاد إلى الأندلس، وأقام في دانية عند ملكها مجاهد العامري الذي أكرمه وأنزله منزلة تليق به، وكان إلى جانب امتهانه الطب فقيهًا حافظًا فتفرد عن علماء عصره وبلغت شهرته كافة أقطار الأندلس والمغرب (صاعد الأندلسي، 1912م)

خلفه أبو العلاء زهر بن عبد الملك، الذي تفرد عن علماء عصره حيث كانت له علاجات تدل على قوته في صناعة الطب، واطلاعه على دقائقها، وقد كانت له طريقته الخاصة في مداواته المرضى؛ حيث كان يستطيع عن طريق الكشف على المريض أن يعرف مرضه وما يعانيه من آلام، وذلك بجس نبض المرضى، والنظر إلى قواريرهم، فكان يعرف ما يعانيه المريض من الآلام ويشخص حالته دون أن يستخبره عن ذلك (عفيفي، 1977م).

ومما عُرف عنه سعة الأفق والمعرفة الواسعة بالطب، وله علاجات من إبداعه وصناعته تدل على تمكنه في صناعة الطب، كما كان يستخدم الفحص السريري للمريض، وذلك بالنظر في قارورة تحوي إدرار المريض (التحليل)، (عوف، 1996م) وقد اشتهر أبو العلاء باللطف مع المرضى، وكان يربط بين انتشار الأمراض والأحوال الجوية خاصّة في مدينة مراكش (نعمة، 1991م).

ولشهرته الواسعة أصبح الطبيب الخاص لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وحظي لديه بمكانة لم يحظ بها أحد من أهل الأندلس، (عكاوي، 1994م) "وحدث أن السيدة الكبرى زوجة أمير المؤمنين وأم بنيه اعتلت، وكان الوزير أبو العلاء بن زهر بمراكش فكتب إليه أمير المسلمين المعتمد راغبًا في علاج السيدة ومطالعة أحوالها بنفسه"، (المراكشي، 2006م) وهذا يدل على مكانته العلمية التي تبوأها في تلك الفترة، والتي ميَّزته عن غيره من علماء عصره وجعلته مقربًا من أمير المؤمنين.

وتتلمذ على يديه عدد من الأطباء الذين نهلوا من علمه في حقل الطب نذكر منهم: الطبيب أبو الحسن بن أسدون المعروف بالمصدوم توفي سنة (588هـ _ 1193م)، وأبو بكر القاضي أبو الحسن قاضي إشبيلية توفي سنة (543هـ -1149م). (عباس، 1971م)

يأتي بعده ابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، الذي واصل مسيرة أسرته في صناعة الطب، وصُنف بأنه أعظم أطباء أسرة بنو زُهر، حيث كان في مقدمة علماء عصره، وتلقى دروسه على يد أبيه الذي أخذ يخرجه من الطب نظريًا وعمليًا، ولم يلبث أن غدا أشهر أطباء عصره في الأندلس. (ابن الأبار، 2011م)

"كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة، حسن المعالجة الأمر الذي أكسبه شهرة واسعة كوالده في مختلف بقاع الأندلس وتداول الناس مصنفاته"(المازني، 2006م)، وكان ابن زهر طبيبًا عظيمًا ظهر في أكثر فترات الحضارة الإسلامية ازدهارًا في الأندلس، ولقد تركت أعماله وخاصة في مجال التشريح تأثيرًا عظيمًا في ممارسة الطب في أوروبا في العصور الوسطي (تيرنر، 2004م).

ومن أهم أعماله في علم الجراحة أنه وصف عملية شق الحنجرة وأثبت سلامتها، كما أدخل طرقًا جديدة في تغذية المرضى عن طريق أنبوبة من الفضة تدخل في البلعوم، ويعتبر هذا أول وصف لأنبوبة المعدة، كما كان أول من أوصى بتغذية المرضى عن طريق الشرج في حالة ضيق المريء. (حسين، د.ت)

كما كان من أوائل الذين وصفوا خراج الحيزوم والتهاب التامور الناشف والانسكابي، ومرد ذلك أن أبا مروان كان عالما بالتشريح، ويدل على ذلك وصفه للالتهابات وخراجات الصدر، وتشخيصه بأن ذلك الخراج مرض يختلف عن التهاب البلورة أي غشاء الرئة، وعن استسقاء تامور القلب. (النجار، 1994م)

كما عالج أبو مروان حالات الشلل الذي يصيب البلعوم، وأجرى عمليات القصبة الهوائية المؤدية للرئة، وكان ماهرًا في استعمال الحقن المغذية لأمراض المريء والمعدة.

واهتم بدراسة العظام لعلاج الكسور، وسجل شروح وتعليقات هامة في هذا المجال، وكان على اقتناع أن الطبيعة يمكن أن تشفي

الأوجاع والآلام، واكتشف بعض الأورام السرطانية ووصفها بدقة علمية، وشرح عملية رفع الحصى من الكلية، ويرجع له الفضل في اكتشاف أن الجرب والحكة ناشئان عن طفيليات جلدية، وبذلك يعتبره المختصون مؤسس علم الطفيليات. (عبد الفتاح، 2010م)

ونجح في معالجة حثار العين (التراخوما) جراحيًا بشق شريان الحثار وجراحة الماء الأزرق والأسود، (فارس، 1993م) ورغم براعته في هذا الحقل إلا أنه كان يتحاشى إجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه، لأنَّ رؤيته الجروح تثير في نفسه ضعفًا يصل إلى حد الإغماء، لكن في المقابل كان يساهم مساهمة فعالة في تحضير الأدوية (السرجاني، 2008م).

وانتقد الأطباء الذين يكثرون من استعمال المسهلات الحادة، وأوصى باستعمال الملينات وحدث " أن الخليفة عبد المؤمن احتاج إلى شراب دواء مسهل لكنه كان يكره الأدوية المسهلة، فتلطف له ابن زهر في ذلك، وأتى إلى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة أدوية مسهلة بنقعها فيه، أو بغلياها معه، ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها، وطلع فيها العنب، أتى الخليفة بعنقود من العنب وأشار عليه أن يأكل منه، فأكل منه ثم قال له يكفيك يا أمير المؤمنين، فإنك أكلت عشر حبات من العنب وهي كافية لشفائك"(صاعد الأندلسي، 1992م)

وهذا الأمر يعطي دلالة على مدى براعته في الطب، حيث استطاع أن ينجح بأن يمزج بين الدواء والغذاء ليخرج علاجًا دون أن يفقد الدواء خواصه العلاجية، بل أعطي نفس النتائج العلاجية.

إضافة لما سبق ذكره فإن أبا مروان بن زهر يعد من أوائل الأطباء الذين عُنوا بدراسة الأمراض المتوطنة في بيئة معينة، وذلك يتضح في تذكرته لأبنه أبي بكر حيث تناول فيها الأمراض التي يكثر حدوثها في مدينة مراكش، كما أنه من أوائل الأطباء الذين نادوا بقيمة العسل الدوائية والغذائية (الخطابي، 1988م).

ومما عُرف عنه أنه لم يكن يقر بشيء سمع به أو قرأه حتى يجريه على قاعدة التجربة والاختبار، أي أنه لم يكن يأخذ بأي قاعدة في مجال الطب دون أن يخضعها شخصيًا للتجربة، وهذا بدوره قاده إلى اكتشاف عدة أدوية جديدة على أثر التجارب التي كان يقوم بها، كما أن التجربة مكنته من اختراع طرق علاجية مبتكرة، (الشمري، 2013م) وهذا يعطينا تصورًا عن مدى حرصه في وصف العلاج للمرضى واضطلاعه بعلم الطب، ويظهر هذا الأمر حتى مع طلابه حيث كان دائم النصح لهم بأن لا يأخذوا ما يقرأونه على محمل الثقة، بل لابد من إخضاعه للاختبار والتجربة والتدقيق قبل اعتماده والتسليم به، (السرجاني، 2008م) وكان كثير النقد لكتابات ابن سينا؛ لطولها، وللآراء الفلسفية غير المنطقية على الملاحظة.(خيرالله، 1946م).

وقبل الاسترسال في الحديث عن بقية أفراد الأسرة فإننا نلاحظ غزارة المعلومات عن أبي مروان مقارنة ببقية أفراد أسرته، وعند ذكره في جل المصادر يُعرف بأنه أشهر أفراد هذه الأسرة، وربما يعلل ذلك بكونه كرس حياته لمهنة الطب ولم ينشغل بمهنة سواها، خلاف بعض من أفراد الأسرة الذين كانوا وزراء أو شعراء، فلم يحظوا بغزارة المعلومات لدى هذه المصادر أسوة به لتركيزها على الجانب الطبي، وهو موضوع دراستنا.

ثم أتى من بعده أبوبكر بن أبي مروان عبد الملك، أبوبكر الحفيد، وهو من أهم علماء عصره فلم يكن في زمانه أعلم منه بالطب، وذاع صيته في كافة أرجاء الأندلس وغيرها، حتى لُقب بـ (شيخ الطب)، (العامري، 2014م) وغدا المشرف على علاج ملوك الدولتين المرابطية والموحدية، وذلك أنه لحق دولة المرابطين، واستمر في الخدمة مع أبيه حتى آخر دولتهم (السرجاني، 2008م)، ثم خدم دولة الموحدين وتوفي في بداية عهد أبا عبد الله الناصر. (ابن أبي اصبيعة، 1996م)

وكان صائب الرأي حسن المعالجة يذكر ابن أصبيعة:"أنه كان قد كتب والده أبو مروان بن زهر نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة، فلما رآه أبوبكر بعد ذلك قال: يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد بدواء آخر، فلم يتناول عبد المؤمن ذلك الدواء، ولما رآه أبوه قال يا أمير المؤمنين إن الصواب في قوله، وبدل الدواء المفرد بغيره فأثر نفعًا بينًا"(ابن أبي اصبيعة، 1996م).

كما كان أبو بكر منتفعًا من علومه الطبية، مراعيًا في ذلك طريقة عيشه، ذلك أنه كان محافظًا على حيويته ونظارته حتى في سن الشيخوخة، ولم يشكِ من حواسه سوى ثقل في السمع أصابه آخر أيامه (عباس، 1971م).

خلفه أبنه أبو محمد الحفيد أبو بكر بن زهر، كسابقيه من أفراد أسرته، كان مهتمًا بعلم الطب، ونهل من منهل والده في هذا المجال، وتعلم أسرار علم هذه الصناعة وعملها، وكان الخليفة أبوعبدالله محمد الناصر بن المنصور أبي يعقوب يرى له كثيرًا ويحترمه، ويعرف مقدار علمه. (المنوني، 1989م).

ثالثًا: مؤلفات أسرة بنو زهر الطبية

ترك أبناء هذه الأسرة إرثًا علميًا عظيمًا ويظهر ذلك في والمؤلفات والكتب التي ألفوها وهي تحوي على معلومات قيمة في مجال الطب وطرق علاج العديد من الأمراض، ونالت شهرة كبيرة وأنارت الطريق أمام طلاب العلم الذين درسوا علم الطب من بعدهم، وهنا نستعرض كل فرد من أفراد هذه الأسرة وأبرز مؤلفاته في الطب.

مؤلفات أبي العلاء زهر بن عبد الملك زهر الإيادي:

1_ **كتاب الخواص**

يختصر في هذا الكتاب أقوال بعض الحكماء كجالينوس وحنين بن إسحق والرازي في خواص أعضاء الجسم، كما يعرض لبعض مسائل علم الأجنة والولادة (ابن ابي اصبيعة، 1996م).

2_ كتاب مجربات أبي العلاء بن زهر الأيادي.

وصف في هذا الكتاب الأدوية المجربة في العلاج لأمراض الحصبة والجدري والحميات، وقد دون هذه المجربات عندما كان مقيمًا بصحبة المرابطين بمراكش، وعندما توفي أمر علي بن يوسف بن تاشفين بجمعها فصار منها كتاب المجربات (ابن الأبار، 1995م، ج1).

3_ **كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح.**

في هذا الكتاب انتقد رد ابن رضوان المصري على كتاب المدخل إلى الطب لحنين بن إسحاق (ابن أبي اصبيعة، 1996م).

4_ **كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس.**

يشرح المؤلف في هذا الكتاب أقوال جالينوس ونظرياته الواردة في العديد من كتبه منتصرًا له انطلاقًا من كتاب وقع إليه منسوب لأبي بكر الرازي، أثار فيه شكوكًا حول جالينوس.(الشمري، 2013م)

5. ـ مقالة في الرد على أبي علي ابن سينا في مواضع من كتابه الأدوية المفردة. (ابن أبي اصبيعة، 1996م)

في هذه المقالة انتقد أبو العلاء بعض المضامين التي وردت في كتاب ابن سينا القانون خاصة ماله علاقة بالأدوية المفردة (ابن أبي اصبيعة، 1996م).

6 . رسالة جامع أسرار الطب.

تحوي الرسالة على مباحث في فصول الزمان وطبائعها وما يلائم كلًا منها من الأغذية (الشمري، 2013م).

7ـ كتاب النكت الطبية. كتب بها إلى أبنه أبي مروان. (ابن أبي اصبيعة، 1996م).

8_ **كتاب الطرر**.(ابن الأبار، 1995م، ج1).

9_ **كتاب في الأدوية لم يكتمل.** (ابن الأبار، 1995م، ج1).

مؤلفات أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر.

1 . التيسير في المداواة والتدبير

يعد هذا المصنف من أهم كتب ابن زهر تضمن ابتكارات رائعة في الطب، ويحوى معلومات قيمة، وآراء قوية ونظريات طبية للأقدمين، كما ضمَّ هذا الكتاب بحوثًا كثيرة عن أمراض القلب والأمراض الوبائية، وأمراض العيون والرئة والأسنان والفم، والأذن، والأنف، وفيه أيضًا وصف لبعض الأمراض الباطنية والجلدية، أي أن هذا الكتاب يعد موسوعة علمية قيمة، وقد حقق هذا الكتاب شهرة كبيرة لابن زهر، وبفضل هذا الكتاب يعد ابن زهر أحد أعظم أطباء الأندلس. (المراكشي، 2012م، ج3)

2ـ الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد

في هذا المصنف لخص الأمراض ومداواتها والنظافة الصحية، ويتسم هذا الكتاب ببساطة الشرح ووضوحه، وألف هذا الكتاب بطلب من السلطان يوسف بن تاشقين، ليكون كتابًا جامعًا للمعارف الطبية المتداولة في عصره ليصبح مرجعا للطلاب والدارسين والباحثين. (ابن الأبار، 1995م، ج3)

3ـ **الأغذية**

يبحث هذا الكتاب في الأثر الصحي للأطعمة والأشربة والأدوية، ويستعرض فيه مبادئ وأسس الصحة العامة والأدوية وأنواعها، ويقدم مجموعة من أنواع الحبوب وأصناف اللحوم والأسماك والفواكه والخضروات والمشروبات، وشرح كثيرًا من الحقائق والمصطلحات العلمية (ابن أبي اصبيعة، 1996م).

4 . **الترياق السبعيني**

ألفه لأمير المؤمنين عبد المؤمن، واختصره عشاريًا واختصره سباعيًا، ويعرف بترياق الأنتلة.(ابن أبي اصبيعة، 1996م)

5 . **التذكرة في الدواء المسهل وغيره.**

تذكرة: ذكر بها لأبنه أبي بكر أول ما تعلق بعلاج الطب، أشار إليها ابن أصبيعة موضحًا أن المؤلف (كتبها لولده أبي بكر الحفيد... وذلك في صغر سنه وأول سفرة سافرها فناب عن أبيه فيها) (ابن أبي اصبيعة، 1996م)، تناول في هذا المؤلف طريقة الأطباء في تشخيص الأمراض، وماهي الأخطاء التي يقعون فيها، كما تناول أيضًا الأمراض التي تكثر بمدينة مراكش كأمراض الكبد والنزلات، وأورام الساقين، وأمراض الحصاة، وذكر الأدوية المناسبة لهذه الأمراض.

6 . **الجامع في الأشربة والمعجونات**

ويصف فيه بعض الأدوية وتركيبها واستعمالها.

7 . **كتاب الزينة.** (ابن أبي اصبيعة، 1996م)

8 . **مقالة في علل الكلي**

وصف فيها حصى الكلي وطرق معالجتها. (ابن أبي اصبيعة، 1996م)

9 . **رسالة تفضيل العسل على السكر**

ابتدأ هذه الرسالة بالحديث عن أطباء عصره، منتقداً فيها أطباء عصره ممن يفضلون السكر على العسل في تركيب الأدوية، وفي هذه الرسالة عدد خصائص العسل، وقيمته الغذائية والدوائية، كما أجرى مقارنة بين العسل والسكر وانتهي إلى تفضيل العسل على السكر في تركيب الأدوية. (الخطابي، 1988م)

10. **رسالة كتب بها إلى أطباء إشبيلية في علتي البرص والبهق.**

مؤلفات أبي بكر بن زهر بن أبي مروان

له عدة مؤلفات في علم الطب نذكر منها:

1. **رسالة في طب العيون**

تعد هذه الرسالة ذات قيمة علمية في مجال الطب. (السامرائي، 1984م)

2. **كتاب الترياق الخمسيني.**

يذكر ابن اصبيعة أنه ألف هذا الكتاب للمنصور أبي يوسف اليعقوبي. (ابن أبي اصبيعة، 1996م)

3. **كتاب الأقضية.**

4 . **كتاب الجبريات.**

رابعًا: تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء

كان أهم ما ميَّز الأندلس خلال عهودها المختلفة رعاية الخلفاء للحركة العلمية واحتضنائهم للعلماء، وهذا بدوره انعكس على النتاج العلمي، وأضحت الأندلس من أهم مراكز العلم والمعرفة عبر عصورها المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن الدعم الذي أولاه حكام الأندلس من المرابطين والموحدين للعلم والعلماء كان له ثماره التي جناها الأندلسيون، وجعل من الأندلس قبلة ارتادها طالبو العلم من مختلف الأصقاع.

فالمرابطون منذ بداية تأسيس دولتهم حرصوا على الاهتمام بالعلوم وقربوا إليهم رجال الدين والأدب والفكر؛ فنرى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين توفي سنة (500هـ_1106م) محبًا للعلماء والفقهاء، وكان يقدرهم ويميل إليهم كثيرًا، ومن بعده ابنه علي بن يوسف. (حسن علي حسن، 1980م)

ومن العلماء الذين اشتهروا في عصر المرابطين نجد القاضي الفقيه أبوبكر محمد بن عبد الله العربي الذي يعدَ من أعظم فقهاء الأندلس، ولد بإشبيلية وأخذ عن أبيه، كانت له رحلة إلى المشرق للحج، وطلب العلم وبعد عودته أنصرف للتدريس، وتوفي سنه (543هـ_ 1148م). (ابن بشكوال، 2008م)

ومن العلماء الذين برزوا في العصر المرابطين، ولاقوا رعاية من حكام المرابطين أبوبكر محمد بن يحي بن الضائع التجيبي المعروف بابن باجة، (ابن أبي اصبيعة، 1996م) وتميز بسعة علمه فنبغ في الرياضيات والفلك والطبيعة، ولما ولي الأمير أبوبكر بن إبراهيم وهو ابن عم يوسف بن تاشفين حكم سرقسطة استوزر ابن باجة وشمله بالرعاية والعناية، وتوفي سنة(533هـ_1139م).

كما برز القاضي الفقيه أبو علي الصدفي من العلماء الذين احتضنهم علي بن يوسف، وكان من المساهمين في نشر الكتاب والسنة في مرسية بالأندلس، وتوافد عليه طلاب العلم من كل حدبٍ وصوب؛ لينهلوا من علمه الغزير. (المقري، 1968م، ج2)

وكان لأسرة بني زهر حظًا وافرًا لدى حكام المرابطين، ونالوا مكانة كبيرة بين علماء عصرهم، وقد نال أبو العلاء مكانة عظيمة في دولة المرابطين، وألف كثيرًا من الكتب التي أوردناها فيما سبق وبعد وفاته أمر الأمير على بن يوسف بجمع كتبه ونسخها.

كما كان لابنه مروان حظوة لدى الأمراء المرابطين، وهذا يظهر في تصنيفه لكتاب الاقتصاد في صلاح الأجساد للأمير أبي إسحاق بن يوسف بن تاشفين.(ابن الأبار، 1995م، ج3))

وكذلك الحال في دولة الموحدين فقد عني حكامها بالعلماء، وأولوهم الرعاية والدعم، وأسسوا خزائن الكتب واهتموا بتدوين الكتب، كما ازدهرت الترجمة، ولاقت رواجًا كبيرًا في عهدهم، وكان لهذا الاهتمام انعكاس على مختلف العلوم في عهدهم، وبدأ عصر جديد للحركة الفكرية في عهدهم.

فالخليفة عبد المؤمن كرم العلماء ورعاهم؛ مما دفع بكثير منهم إلى التوجه إليه، والانضواء تحت لوائه، ومنهم أبو مروان عبد الملك بن زهر الذي ألف له كتاب الترياق السبعيني (ابن ابي أصبيعة، 1996م)، كما نجد أبوبكر الحفيد خدم بالطب لدى عبد المؤمن.

كما اشتهر بن يوسف بن عبد المؤمن بدعم العلم والعلماء، وحدثت في عهده حركة علمية واسعة، كما أنشأ مكتبة لا تقل قيمة عن مكتبة الحكم الأموي، وشهد عهده عددًا غير قليل من العلماء نذكر منهم الفيلسوف والطبيب ابن طفيل محمد بن عبد الملك بن محمد، توفي سنة (581هـ_1185م). (المراكشي، 2012م، ج4)

ولم يخلُ عهد يعقوب المنصور من وجود كبار العلماء فالمنصور قرب إليه العلماء، نذكر منهم ابن رشد الحفيد (ت 595هـ-1198م)، (المراكشي،2012م) وكان على صلة بأبي يعقوب، وبعد وفاته أي أبو يعقوب خلفه ابنه أبو يوسف المنصور الذي قرب إليه ابن رشد، وكانت له مكانة رفيعة في عهده.

كما كان عهد الخليفة الناصر زاخرًا بالعلماء الذين نذكر منهم ابن جبير (540هـ_614هـ/ 1145م_1217م) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، عني بالأدب وتقدم في صناعة الشعر ومن أشهر مؤلفاته (رحلة ابن جبير) (المراكشي، 2012م، ج3) وإلى جانبه كان ابن القرطبي (556هـ_611هـ/1161م_1214م) كان واسع المعرفة، فاضلا نحويًا ماهرًا، ومن مؤلفاته (المبدي لخطأ الرندي)، (المقري، 1968م، ج2) كما نجد الطبيب أبابكر محمد بن الحفيد الزهري من أطباء الخليفة الناصر.

وخلاصة الأمر فإن رعاية الحكام وتشجيعهم للعلماء أسهم بشكلٍ كبير في الدفع بعجلة الحركة العلمية نحو الأمام وهذا راجع لإدراكهم لقيمة العلم والعلماء، وازدانت مجالسهم بأهل العلم وأكرموهم وشجعوا العلماء على التأليف وأقاموا المكتبات، وهذا بدوره كان له انعكاس على الحياة العلمية في الأندلس، والتي كانت سمة بارزة للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس عبر عصورها المختلفة.

النتائج

_ إن أسرة بني زهر من أهم الأسر العلمية التي لمعت في بلاد الأندلس، وقد انجبت أبناء توارثوا هذه المهنة عبر ثلاثة قرون، خاصَّة إذ ما علمنا بالنهضة العلمية التي شهدتها بلاد الأندلس في تلك الفترة، فهيَّأت لهم تفجير طاقاتهم الإبداعية في مجال الطب.

_ استطاع كل فرد من أفراد هذه الأسرة أن يترك بصمته في حقل الطب، وأن يكون عالم عصره، بل تعدى الأمر ذلك فقد وصلت شهرة هؤلاء العلماء إلى أوروبا عن طريق ترجمة مؤلفاتهم، وهذا دليل على المكانة الكبيرة التي تبوأها أفراد هذه الأسرة كل في وقته متفردًا عن علماء عصره، خاصة مع النهضة العلمية التي شهدتها الأندلس في تلك الفترة، وكيف أستطاع كل فرد منهم أن يكون في الصفوف الأولى لعلماء عصره.

_ كما كانت لهؤلاء العلماء إنجازات وابتكارات كثيرة مثلت إضافة كبيرة لحقل الطب، من خلال العديد من التجارب والاختبارات التي مكنتهم من تشخيص العديد من الأمراض والعلل، واكتشافهم لعلاجها، وتركوا كثيرًا من التصانيف والمؤلفات التي تناولت الأمراض، ومسبباتها وتشخيصها، وكانت بمثابة المراجع لطلاب العلم، والمهتمين بعلم الطب.

_ حظي أطباء هذه الأسرة باهتمام وتقدير سلاطين المرابطين والموحدين، حيث تم اتخاذهم أطباء خاصين لهؤلاء السلاطين، وهذا يعطى دلالة على تفوقهم ومهارتهم على كل معاصريهم من الأطباء وكيف كانوا روادًا لعلم الطب.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

_ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى، (1996م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة.

_ ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله القُضاعي، (1995م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراش، ط1، دار الفكر، بيروت.

_ ابن بسام الشنتريني، ابي الحسن علي، (1997م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

_ ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود، (2008م)، الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

_ ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين، د.ت، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

_ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (1996م)، سير أعلام النبلاء، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت.

_ صاعد الأندلسي، أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، (1992م)، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

_ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، (2013م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس.

_ الغرناطي، أبي جعفر أحمد ابن أبراهيم، (2008م)، صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

_ المراكشي، أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، (2012م) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس.

_ المراكشي، عبد الواحد بن علي، (2006م)، المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.

_ المقري، أحمد بن محمد التلمساني، (1968م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ط1، دار صادر، بيروت.

ثانيًا: المراجع

_ تيرنر، هوارد، (2004م)، العلوم عند المسلمين ـ ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

_ حسن علي حسن، (1980م) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

_ حسين، محمد كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للثقافة، القاهرة.

_ الخطاب، محمد العربي، (1988م)، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

_ خير الله، أمين أسعد، (1946م)، الطب العربي " مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به"، المطبعة الأميركانية ـ بيروت.

_ السامرائي، كمال، (1984م)، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال العربي، بغداد.

_ السرجاني، راغب، (2008م)، قصة العلوم في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة.

_ العامري، محمد بشير، (2014م)، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

_ عباس، نهاد، (1971م)، ط1، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

_ عبد الفتاح، علي، (2010م)، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، ط1، دار ابن حزم، بيروت.

_ عفيفي، محمد الصادق، (1977م)، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

_ عوف، أحمد، (1996م)، صُناع الحضارة العلمية في الإسلام، سلسلة الحياة، القاهرة.

_ عكاوي، رحاب خضر، (1994م)، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت.

_ فارس، محمد، (1993م)، موسوعة علماء العرب والمسلمين، ط1، دار الفارس للنشر، الأردن.

_ المازني، إسلام صبحي، (2006م)، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين (موسوعة الطب في عصر ازدهار حضارة الإسلام)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

_ المنوني، محمد، (1989م)، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

_ النجار، عامر، (1994م)، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ط3، دار المعارف، القاهرة.

_ نعمه، هيكل، (1991م)، موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

رابعًا: الدوريات

_ يابوش، جعفر –الشمري، غازي، (2013م)، الطبيب ابن زهر رائد التجريب، وهران.